وجبريل يكيا خوفا من الله فاوحى الله اليهما لم تبكيا وقد اصبحتما آمنتكما فقالا ومن يامن مكرك
وكانهما اذ علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يامنا ان يكون
قوله قد اشكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكروه
وفيما يقولهما كما ان ابرهيم صلى الله عليه وسلم لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكانت هون
من الدعاوى العظام فامتحن وعورض بجبريل في الهواء حتى قال له الك حاجة فقال اما اليك فلا
فكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله فاخبر الله عز وجل عنه فقال وابرهيم الذي وفى اي
وفى بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا اخبر عن موسى صلى الله عليه السلم حيث قال انا نخاف
ان يفرط علينا او ان يطغى قال لا تخافا اني معكما اسمع واري ومع هذا لما القي السحرة سحرهم
اوجس موسى في نفسه خيفة انه يامن مكر الله والتباس الامر عليه حتى جرد عليه الامن وقيل له
لا تخف انك انت الاعلى ولما ضعفت سنة المسلمين يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم ان تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الارض احد يعبدك فقال ابو بكر رضي الله عنه دع مناشدتك
ربك فانه وافي لك بما وعدك فكان مقام الصديق مقام الثقة بوعد الله وكان مقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو اتم لانه لا يصدر الا عن كمال المعرفة باسرار الله
وخفايا افعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكروه الصادر من المستدرج وفي
على كنه صفات الله ومن عرف حقيقة المعرفة قصور معرفته عن الاحاطة بكنه الامور عظم
خوفه لا محالة ولذلك قال عيسى عليه السلام لما قيل له انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله قال ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فوض الامر الى المشية واخرج نفسه بالكلية
من البين لعلمه بانه ليس له من الامر شيء وان الامور مرتبطة بالمشية ارتباطا يخرج عن حد المعقولات
اليه

والمالوفات فلا يمكن الحكم عليها بقياس وحدس وتخمين فضلا عن التحقيق والاستيقان وهذا
هو الذي قطع قلوب العارفين اذ الطامة الكبرى هي ارتباط بشيء من بلاء الله اهلكا فقد اهلك
من لا يحصى من امثالك ولم يزل في الدنيا يبتليهم بانواع الآلام والامراض ويمرض مع ذلك قلوبهم
بالكفر والنفاق ثم يخلدهم العقاب عليهم ابدا الآباد ثم يخبر عن ذلك بان يقول ولو شئنا
لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وكيف لا يخاف
من حق به من القول في الازل ولا مطمع في تداركه ولو كان الامر انفا لكانت الاطماع
تمتد الى حلية فيه ولكن الا التسليم واستغفر التخفي السابقة من جلي الاسباب لظاهره على
القلب والجوارح فمن تيسرت له اسباب الشر وحيل بينه وبين اسباب الخير واحكم عليه
في الدنيا فكانه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشقاوة اذ كل ميسر لما خلق له
وان كانت الخيرات كلها ميسرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبلا
كان هذا يقتضي تحقيق الخوف لو كان الدوام على ذلك موثوقا به ولكن خطر الخاتمة وغموض الثبات
يزيد بديهيا ان الخوف اشبه الاولى بحليه للانظفار كيف يؤمن تغير الحال وقلوب المؤمنين بين اصبعين
من اصابع الرحمن وان القلب اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال تقلب القلوب عز وجل ان
عذاب ربهم غير مامون فاجمل الناس ايمنه وهو ينادي بالتحذير من الامن ولولا ان الله لطيف
بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء
رحمة من الله واسباب الغفلة رحمة على عوام الخلق من وجه لو انكشف الغطاء لرهقت النقمة
وتقطعت القلوب ومن خوف مقلب القلوب قال بعض العارفين لو حال بيني وبين معرفة بالتوحيد
خمسين سنة اصلوات ثم لما قطعت له بالتوحيد لا ادري ما ظهر لي من التقليب قال لو جمعهم
كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخرت الموت على الاسلام عند باب الحجرة

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)